الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
- البويرة -
كلية الآداب واللغات

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -
Faculté des Lettres et des Langues

جامعة البويرة

قسم اللغة والأدب العربي

مراثي الصالحين، – دالية حسان بن ثابت –

أنموذجا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ليسانس في اللغة والأدب العربي

إعداد الطلبة:

- **غناي كريم**
- **فرج عزالدين**

إشراف الأستاذ:

دردوخ الزبير

السنة الجامعية 2013/2012

إهـــداء

الحمد لله الذي أرسل رسولهُ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلهُ وكفى بالله شهيدا.

وأشهد أن لا إلهَ إلا الله وحده لا شريك لهُ إقرارا بهُ وتوحيدا وأشهد أن محمدا عبده ورسولهُ صلى الله عليهُ وآلهُ وسلم تسليما مزيدا.

أمـــــــــا بعد:

فبعد سنوات من الجهد والمثابرة وفقنا الله تعالى لإنجاز هذه المذكرة المتواضعة التي نتمنى أن تكون في المستوى.

إلى من كانت دائما أمامي تعينني ترشدني وتنصحني ، إلى من أعانتني بالدعاء الصالح أطال الله في عمرها ** أمـــــــــي العزيزة **.

إلى من تكفل مصاريف تدريسي وتعليمي ، إلى من أكن لهُ الوقار والاحترام أطال الله في عمره ** أبـــــي الغالـــي ** .

إلى كل من أعاننا على إتمام هذا العمل سواءً بالكتب أو بالأفكار أو بالنصح .

إلى كل من سقط من قلمنا سهوا أو عمدا ، نهدي هذا العمل .

كريم غناي.

عزالدين فرج.

مقدمة

إن شعر الرثاء قديم قدم المآسي و الأحزان، قديم قدم الموتى الذين لفوا بالأكفان، قديم قدم اعتلاج الهموم في صدر الإنسان.

فمنذ أن وجدت البشرية وفي عصور الجاهلية والعصور الإسلامية، وحتى في عصرنا الحالي، والإنسان يتألم و يسجل آلامه وأحزانه بأشعار تبكي الأحبة فجاءت هذه الأشعار حزينة باكية وجدت في الشعر متسقا لها عما يعتلج في الصدور من أحزان وآلام.

وللرثاء مكانة عظيمة وجليلة عند الشعراء فالشاعر إذا فقد قريبا له فإنه يبكيه و يرثيه حتى يبين مدى تأثره به ، هذا إذا كان إنسانا عاديا فكيف إذا كان عالما وكانت الأمة بحاجة إلى علمه وفقهه فلا شك أَن الأمر أكبر.

فكما رثى الشعراء المماليك و الخلفاء ,وكما رثى الشعراء الناس و البلدان وكذلك رثو المدن و الحضارات و رثوا حتى أنفسهم عندما كانوا يجدون أنَ ساعتهم قد دنت أو عندما كانوا يشعرون بأنهم أحياء و لكنهم أموات وسط عالم يشعرون فيه بالغربة، حتى أن بعض الشعراء رثوا الحيوانات كما فعل ذلك أبو نواس عندما رثى كلبه.

في الحقيقة الموضوع الذي كنا بصدد دراسته والذي قدمناه إلى الإدارة في بادئ الأمر هو " مراثي العلماء " وكنا قد اخترنا قصيدة للإمام ابن القيم الجوزية في رثاء شيخ الإسلام ابن تيمية رحمهم الله و نظرا لعدم احتواء هذه القصيدة على الكثير من الرثاء بدا لنا أن نغير هذه القصيدة و بعد أخذ و رد و بتوجيه من الأستاذ المشرف فإنه قد أرشدنا إلى قصيدة أخرى ألا و هي " دالية حسان ابن ثابت " رضي الله عنه في رثاء" النبي صلى الله عليه و سلم" و بعد الاطلاع عليها وجدناها تحتوي على رثاء صادق يخرج من قلب صحابي صادق كان قد عاش مع الرسول صلى الله عليه و سلم مدافعا عنه و هاجيا لأعدائه و بصفته شاعر النبي صلى الله عليه وسلم فإنه قد عايش موته لذلك فإنه قد نظم فيه قصيدة كافية شافية مصورا فيها الفاجعة التي حلت بالأمة الإسلامية جميعا والصحابة رضوان الله عليهم خصوصا.

وقد قمنا بدراسة هذه القصيدة دراسة أسلوبية مؤسسين عناصر هذا البحث وفق خطة تحتوي على مدخل وفصلين وملحق و خاتمة . فكان الفصل الأول يبحث عن الرثاء في الأدب

العربي وكان هذا الفصل في ثلاثة مباحث، الأول تحدثنا فيه عن الرثاء في اللغة والاصطلاح، والمبحث الثاني تناولنا فيه نشأة الرثاء والمبحث الثالث فقد تكلمنا فيه عن أنواع الرثاء.

أما الفصل الثاني فقد تطرقنا إلى دراسة أسلوبية تحليلية لدالية حسان– رضي الله عنه –وقد قسمنا هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث.ذكرنا في المبحث الأول حياة –النبي صلى الله عليه وسلم– ومولده و نشأته ووفاته و ذكرنا في المبحث الثاني نبذة عن حياة حسان بن ثابت – رضي الله عنه– كما ذكرنا شيئا من أعماله الشعرية أما المبحث الثالث والأخير فقد خصصناه إلى الدراسة التطبيقية علما أننا قد اعتمدنا على المنهج الأسلوبي في هذه الدراسة. وذكرنا في الملحق أهم الشعراء الذين رثوا النبي – صلى الله عليه وسلم– وذكرنا كذلك بعض النماذج من رثائهم.أما الخاتمة فقد جعلنها حوصلة لعملنا كله ، كما اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع التي كانت لنا بمثابة المنهل الصافي في هذا العمل.

وفي الأخير لا نريد أن نتحدث عن الشقاء و العوائق والمكابدة في هذا البحث فنحن نؤمن أن العلم لا ينال براحة الجسد و إنما ينال بالمثابرة و الاجتهاد.

نرجو أن نكون قد قدمنا القليل من الإضافة لهذا الموضوع الذي هو في الحقيقة أكبر منا بكثير خاصة هذه" القصيدة بالذات"لكن عملا بقاعدة" ما لا يدرك كله لا يترك جله"فإننا قد أدلينا بدلونا و حاولنا قدر المستطاع أن نقدم ما لدينا في هذا العمل.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفصل الأول : الرثاء في الأدب العربي

المبحث الأول : الرثاء لغة و اصطلاحا

الرثاء لغة : البكاء على الميت ومدحه يقال رثى فلان فلانا، يرثيه رثيا ومرثية إذا بكاه بعد موته، فإن مدحه بعد موته رثاه يرثيه ترثيه، ورثيت الميت رثيا ورثاء ومرثاة ومرثية.

ورثيته : مدحته بعد موته و بكيته ، ورثوت الميت أيضا إذا بكيته و عددت محاسنه و كذلك إذا نظمت فيه شعرا ورثأت الرجل رثاءا بالهمزة لغة بمعنى رثيت ورثوت [1].

***اصطلاحا** : أما معناه الإصطلاحي فيقول قدامة بن جعفر ليس بين المراثي والنحت فرق إلا ما يذكر في اللفظ ما يدل علي أنه لهالك مثل : كان تولى وقضى وما أشبه ذلك، وهذا ليس يزيد على المعنى أو ينقص منه.

وقد يسلك التأبين مسلكا آخر يدل على الرثاء كأن يقال "ذهب الجود" أو "من للجود بعده" و ما أشبه ذلك ولما كان الرثاء في الأصل ناشئا عن الحزن والأسف أضاف بن رفيق عن تفسير القدامى للرثاء و قال : " وسبيل الرثاء أن يكون ظاهره التّفجّع بين الحسرة مخلوطا بالتلهف والأسف والاستعظام" وهناك كلمتان كثيرا ما تستعملان في معنى الرثاء فيبدو أنّ لا فرق بينهما فهاتان الكلمتان هما الندب والتأبين.

فهذا قدامة كما سبق أنه استعمل التأبين في معنى الرثاء لكن إذا أمعنا النظر في معناهما وجدنا اختلافا يسيرا بينهما ، فالتأبين هو الثناء على شخص بعد موته و الندب بكاء الميت و تعداد محاسنه و الرثاء أعم منهما.

---

[1]. ابن منظور, لسان العرب دار إحياء التراث العربي, بيروت 1996 م ج 5 مادة رثا.

المبحث الثاني : تاريخ الرثاء

تاريخ الرثاء : للقيام بدراسة وافية حول تاريخ الرثاء وتعيين أول من رثى هو أمر صعب جدا، لأنّ الرثاء ينبع من أعماق النفس عند إلمام النائبة وفقد الأعزاء.

والرثاء يمثل الآلام الباطنية في صورة ألفاظ وعبارات محرقة بحيث تؤثر في سامعيها تأثيرا مؤلما إذا فلا نستطيع أن نحدّد زمانًا خاصا لبدء الرثاء في تاريخ البشر، لأنّ الإنسان قد عاش من بداية حياته على الكرة الأرضية مع الكوارث والنوائب والحوادث المؤلمة التي تهز القلب هزا شديدا وكان لتلك الحوادث تأثيرها العظيم على النفوس.

والإنسان في الشوط الأول من تاريخه كان يعبّر عن نفسه الحزينة بألوان شتى وبألفاظ مختلفة، أظن أنّ هذا التعبير في بدايته كان أصواتا وألفاظا قريبة الوزن دون أن تكون لونا من ألوان الأدب ومع مرور الزمن تحولت إلى العبارات الموزونة التي كانت النساء يرددنها عند المصائب ويخففن من آلام القلوب .

ونحن الآن لسنا بصدد بحث تاريخي عن هذا النوع ولكن نقصد بحثا تاريخيا حول الرثاء المكتوب في الأدب العربي ولنبدأ دراستنا من العصر الجاهلي لأنّ مسنداتنا في الأدب العربي مهما كان تبدأ من العصر الجاهلي إلى حاضرنا الراهن.

وما بقي لنا من الأدب الجاهلي يبلغ تقريبا تسعا وأربعين قصيدة و ينقسم إلى مجموعات سبعة وهي : المعلقات، المجمهرات، المنتقيات، المذهبات، المشوبات، الملحمات، المراثي، وكلّها توجد في كتاب جمهرة أشعار العرب لأبى زيد الأنصاري[1].

ويقول جرجي زيدان في موضوع تحت عنوان : أبواب الشعر عندهم (أي عند العرب) إنّ أبواب الشعر اليوم تعد بالعشرات و لم يكن منها في الجاهلية إلاّ الفخر والحماسة والتشبيب والمديح و الهجاء .... وتفرع من المديح الرثاء وهو مدح الميت ...وقلّما رثوا غير إخوانهم[2].

[1] جرجي زيدان، ترجمة فارسية لتاريخ الأدب العربي ، د ط ، د ت ،ج1 ، ص123.

[2]. جرجي زيدان تاريخ الأدب د ط، ج1 ، ص684.

وجرجي زيدان قد أشار إلى الرثاء تحت عنوان أبواب الشعر ولكننا نريد أن ندرسه في الأدب العربي من شعره و نثره كما سنقدم نصوصا منتخبة في كلا النوعين .

مهما كان الأمر، نشأ الرثاء في تاريخ الإنسان وسلك طريقه في الألسنة واللّغات كلّها وخاصة في اللّغة العربية والأدب العربي وبدأ ينمو ويتطور بأيدي الأدباء حتى وصل الذروة في رصانة الألفاظ ودقة التعبير ورقة التراكيب وعلو المضامين وظهر بينهم شعراء كبار أصبحوا مشهورين بسبب استعمالهم الجيد لهذا الفن من النساء والرجال.

فتعرف الخنساء بمراثيها المؤلمة المحرقة التي تحرق القلب وتمزقه حزنا لأنّ نفس الشاعرة تضطرم من لوعة الحزن وتلقي بهذه الزفرة إلى روح من يسمعها وليس من شعراء العرب قبل الإسلام وبعده من تفوق على الخنساء في رصانة شعرها ورقة لفظه وحلاوة جرسه.

وقد غلب في شعرها الفخر والرثاء فلفجيعتها فيهم (أخويها وكبار قومها).

وطول وجدها عليهم والأسى يرق الشعور ويرق العاطفة ويفتق القريحة في الرجل فكيف في المرأة ؟

كانت لا تقول إلا البيتين أو الثلاثة قبل مقتل أخويها فلما فاض الدمع من عينيها والشعر من قلبها أتت في رثائها بالُمعجب المعجز[1]، وظهر أيضا شعراء من الرجال الذين عبّروا عن أدق عواطفهم وأرقاها واستعملوا الرثاء لدعوة الناس إلى النهضة ضد الطغاة وفضح جرائمهم والإشارة بذكر الشهداء في طريق حب الله، ومنهم الشريف الرضى له ديوان شعر كبير حول الموضوعات المختلفةلكنه يُعتبر أستاذا لفن الرثاء وله قصيدة رائعة يرثي فيها جدّه سيد الشهداء رضي الله عنه بهذا المطلع :

كربلا لازلت كربا و بلا ما لقي عندك آل المصطفى

كم على تربك لما صرعوا من دم سال ومن دمعٍ جرى

وله منهجه الخاص في الرثاء دون المتقدمين و هو شاعر الدموع بحيث يحس المتتبع لشعره في ديوانه أنّه شاعر كثير البكاء على الراحلين، كثير التعزية لأصدقائه و أقربائه ممّن

[1]. حسن أحمد الزيات تاريخ الأدب العربي ط 2 ص 150 .

فقد أحبابهم، ويقول عنه الثعالبي : "ولست أدري في شعراء العصر أحسن تصرفا في المراثي منه "[1].

[1]. أحمد الزيات المرجع السابق، ص286.

المبحث الثالث : الرثاء وأنواعه

للرثاء ثلاثة أنواع ولكل نوع ألوانه الخاصة به نبدؤها بالندب :

1) النّدب : وهو النواح والبكاء على الميت بالعبارات المشجية والألفاظ المحرقة التي تصدع القلوب القاسية وتذيب العيون الجامدة إذ يولولُ النائحون والباكون ويصحون ويعولون مسرفين في النحيب والنشيج وسكب الدموع وقد عرف العرب منذ العصر الجاهلي هذا النوع، و نجد النساء النادبات في الجاهلية يؤلفن الأشعار التي يندبن بها موتاهن ومع مضي الزمن انفصلت صناعة النّدب عن صناعة الشعر فأصبح هناك محترفون ومحترفات يعولون في المآتم بأشعار تصنع لهم[1]. ولهذا النوع من الرثاء خمسة ألوان هي :

أولا: ندب الأهل والأقارب وهو أقدم ألوان الندب والنواح في شعرنا العربي وللمرأة الجاهلية في هذا المجال القسط الأكبر والنصيب الأوفر وأشهر من بكت واستبكت الخنساء في رثاء أخيها صخر حيث تقول :

فالعينُ تبكي على صخرٍ وحَق لها وُدونه من جديد الأرض أسْتارُ[2].

ثانيا : ندب الرسول صلى الله عليه وسلم وآل البيت ومنه رثاء فاطمة الزهراء رضي الله عنها على قبر أبيها حينما قالت :

إنّا فَقَدْناك فقد الأرض وابلها وغَاب منذ غِبتَ عنا الوحيُ والكتبُ

فَدْيتَ قبلكَ كان الموت صادفَه لما نُعيتَ وحالت دونَك الكتبُ[3].

أما فيما يخص آل البيت فمن أهم من رثاهم في العصر العباسي فهو دعبل في مرثيته المشهورة :

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وَحي مقْفِرُ العَرصاتِ

يريد بالمدارس الأماكن التي يدرس فيها القرآن الكريم[1].

---

[1] – شوقي ضيف ، فنون الأدب العربي الرثاء دار المعارف القاهرة ،ط4، 1919م ص62.

[2] – شوقي ضيف ، المرجع نفسه ص14.

[3] – ابن عبد ربه ، العقد الفريد دار الكتب العلمية ببيروت لبنان ط14،1404 هـ ، ج3 ، ص278 .

ثالثا: نّدب الدول: الدول العربية التي سقطت خلال التاريخ الوسيط كثيرة وأول دولة بكاها الباكون دولة بني أمية التي سقطت سنة132للهجرة وأهم من بكاها أبو العباس الأعمى الشاعر المكي و فيهم يقول :

لْيتَ شعري أفاَحرائحةَ المسكِ وما إن أَخَالَ بالخِيف أُنسِي

حِين غابتْبنو أميةَ عنهُ و البهاليلُ من بني عبد شمسِ[2].

رابعا : ندب البلدان : ولعل قطرا إسلاميا لم يبك بلدانه ومدنه كما بكيت مدن الأندلس وبلدانها، فكلما ضاعت بلدة أو مدينة ذرفوا الدموع الحارة السخينة ومن البلدان التي أكثر الشعراء رثاءها وندبها : طليطلة وبلنسية وشاطبة وقرطبة وجيان وإشبيلية ومن ذلك قول أبي البقاء الرندي :

فاسأَلِبلنسيةَ ما شأْنُمرسيةَ وأين شاطبةُ أم أينَ جيانُ

وأينَ قرطبة دار العلوم فكْم من عالم قد سَما فيها له شأْنُ[3]

خامسا : ندب الشعراء أنفسهم نقل لنا مؤلف العقد عن ابن قتيبة : بلغني أن أول من بكى على نفسه وذكر الموت في شعره هو يزيد بن حذاق فقال :

هلْ للفتى من نائباتِ الدهر من واقٍ أم هل له من حِمَام الموت من راقٍ[4].

2) التأبين: وهذا النوع من الرثاء أصله الثناء على الشخص حيا أو ميتا ثم اقتصر استخدامه على الموتى فقط وهو الوقوف على قبر الميت وذكر مناقبه وتعداد فضائله ولهذا النوع من الرثاء ثلاثة ألوان هي :

أولا: تأبين الخلفاء و الوزراء: وأما تأبين الخلفاء فيتضح في تأبين أول خليفة للرسول صلى الله عليه وسلم وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه، الذي حمل لواء الدعوة

---

[1] – ابن عبد ربه ، المرجع السابق ص38.

[2] – شوقي ضيف، المرجع السابق ص41.

[3] – نفسه ص99.

[4] –ابن عبد ربه، مرجع سابق، ص 244.

الإسلامية من بعده وفيه يقول حسان مؤبّنا:

إذا تذكّرتَ شجوا من أخِي ثقة فاذكر أَخاك أبا بكر بما فعلا
خيَر البرية أتقاها وأعدلها بعد النبي وأوفاها بما فعلا[1].

وأما تأبين الوزراء، فيحتل تأبين وزارئنا في العصر مكانا بارزا في شعر حافظ وشوقي والأخير في رثاء مصطفى فهمي أحد رؤساء الوزارة المصرية يقول :

يا أيها الَناعي أبا الوزراءِ هذا أوان جلائل الأنباءِ
حثّ البريدِمشارقا مغارباً واركبْ جناح البرق في الأرجاءِ[2].

ثانيا : تأبين العلماء والوزراء : من الطبيعي أن يكون للعلماء مكانتهم في التأبين و الرثاء قلما مات صاحب مذهب في الدين أو صاحب أثر بارز في تأليف الشريعة إلا نعاه الشعراء وممن بكاه الشعراء الأوزاعي فقيه الشام وفيه يقول بعض الشاميين :

جادَ الحيا بالشامِ كل عشية قبرا تضَمن نجده الأوزاعِي
قبٌر تضمن فيه طود شريعة سقيا له من عالمٍ قَدّاعِ
عرضتْ له الدنيا فاعرض مقلعا عنها بزهد أَيما إقلاعِ

ومن مراثي اللغويين والنحويين البديعة مرثية الشرف الحصني لابن مالك صاحب الألفية المشهورة و فيها يقول :

يا شتات الأسماء و الأفعال بعد موت ابن مالك المفضال
وانحرافِ الحروف من بعد ضبط منه في الِانفصال والِاتصال
مصدرا كان للعلوم بإذن الله من غير شبهة ومحال[3].

كما يقول المتنبي في تأبين أحد العظماء

ما كنتُ أحسب قبل دفنكَ في الثرى أنّ الكواكبَ في التراب تغور

[1] –شوقي ضيف، مرجع سابق ص54–55.
[2] – نفسه، ص62.
[3] – نفسه ، ص70–77.

ما كنت آمل قبل نفسك أن أرى رضوى على أيدي الرجال تسير

حتى أتوا جدثا كأن ضريحه في كلّ قلب موجد محفورِ[1].

ثالثا: تأبين الأشراف والاجواد والقادة : لم يترك شعراؤنا شريفا على مر العصور دون أن يقفوا على قبره وينثروا مدامعهم عليه، ومن أقدم المراثي التي نذكرها في هذا الجانب مرثية أوس بن حجر في فضالة بن كلدة الأسدي وفيها يقول :

أيتها النفسُ أجملي جزعاً إنّ الذي تحذَرِينَ قد وقعَ[2].

وهذا اللون موجود في الأدب المعاصر حيث يقول الشاعر المعاصر الدكتور إبراهيم ناجي في حفلة تأبين المرحوم أمير الشعراء أحمد شوقي:

قُم يا فقيدَ الشعر وانظر أيّ حفل للرثاء أمم يصبر بعضها بعضا و هيهات العزاْء[3].

كما يقول في رثاء مطران :

حملوا على الأعوادِ فنّا خالدا وا رحمتاه لكوكب محمولِ[4].

3)العزاء :

وهذا النوع الثالث والأخير أصله الصبر ثّم اقتصر استعماله في الصبر على كارثة الموت وأن يرضى بمن فقد عزيزا بما فاجأه به القدر ونَجدْ عند كثير من الجاهلين نزعة الاِستسلام للقدر. و لعدي بن يزيد العبادي شعر كثير في ذلك فهو يقول في بعض قصائده :

أين أهلُ الديار من قوم نوح ثم عاد من بعدها وثمود

ولعل ذلك ما جعل الخنساء تقول :

ولولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي

---

[1] – أبو منصور الثعالبي ، يتيمة الدهر،شرح محمد قميحة دار الكتب العلمية بيروت ط19831 ص264.

[2] –شوقي ضيف، مرجع سابق ص 62–63.

[3] – إبراهيم ناجي ديوان من وراء الغمام موقع انترنيت www.alkotob.comص 79.

[4] – نفسه، ص327.

فهي تجد في بكاء غيرها ما يعزيها عن أخيها، ولهذا النوع من الرثاء لونان اثنان هما :

أولا: العزاء في الأهل : ودار ذلك أكثر ما دار حول فقد الأبناء وأفلاذ الأكباد ، فكان الشاعر إذا مات ابن خليفة يبادر إلى تخفيف بلواه فيه بأبيات تحد من لوعته على نحو ما قال بعض الشعراء لعمر بن عبد العزيز وقد توفي ابنه عبد المالك :

تعزَّ أمير المؤمنين فإنه لما قد ترى يغذى الصغير و يولُد
هل ابنك إلّا من سُلالة آدم لكلّ على حوض المنية موردُ[1].

ثانيا: العزاء والتهنئة:ذلك أن الخلفاء والسلاطين كانوا يتوارثون دولهم وإمارتهم فكان الشاعر يقوم بين يدي الخليفة أو السلطان الجديد يعزيه في ابنه ويهنئه بحكومته ودولته وأول من فتق هذا الموضوع وأظهر براعته فيه عبد الله بن همام السلوكي، وذلك عندما توفي معاوية وخلفه ابنه يزيد فلم يقدم أحد على تعزيته لدقة الموقف وصعوبته حتي فتح لهم ابن همام الكلام فقال:

اصبر يزيدُ فقد فارقتَ ذا مِقةٍ واشكر حَباَء الذي بالملك حّياكَا
لا رُزَء أعظم فالأقوام قد علموا مما رُزئتَ و لا عقبى كعقباكا
أصبحتَ راعَي هذا الخلق كلهم فأنت ترعاهم والله يرعاكا
وفي معاوية الباقي لنا خلف إذا لقيت فلا تسمع بمنعاكاَ

ومعاوية الذي يشير إليه في البيت الأخير هو ابن يزيد ولي عهده[2].

[1] -شوقي ضيف، مرجع سابق ص87-88-89.

[2] - نفسه، ص 87-88-89.

الفصل الثاني: دراسة تحليلية أسلوبية لقصيدة حسّان ﷺ

المبحث الأول : تعريف ﷺ

ولد النبيﷺ بشعب بني هاشم بمكة في صبيحة يوم الاثنين التاسع من شهر ربيع الأول, لأول عام من حادثة الفيل ولأربعين خلت من ملك كسرى أنو شروان ويوافق ذلك عشرين أو اثنين وعشرين من شهر أبريل سنة (571م) حسبما حققه العالم الكبير محمد سليمان المنصور فوري رحمه الله[1].

وروى ابن سعد أن أم النبيﷺ قالت لما ولدته: خرج من فرجي نور أضاءت له قصور الشام. وروى الإمام أحمد والدارمي وغيرهما قريبا من ذلك، ولما ولدته أمه أرسلت إلى جده عبد المطلب تبشره بحفيده فجاء مستبشرا ودخل به الكعبة ودعا الله وشكر له واختار له اسم محمد وهذا الاسم لم يكن معروفا في العرب وختنه يوم سابعه لما كان العرب يفعلون وقيل أنه ولد مختونا لكن ليس هناك حديث ثابت .

وأول من أرضعه من المراضع –وذلك بعد أمه بأسبوع– ثويبة مولاة أبي لهب، بلبن ابن لها يقال له مسروح، وكانت قد أرضعت قبله حمزة بن عبد المطلب، وأرضعت بعده أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي، وكانت العادة عند الحاضرين من العرب أن يلتمسوا المراضع لأولادهم ابتعادا لهم عن أمراض الحواضر، ولتقوى أجسامهم وتشتد أعصابهم ويتقنوا اللسان العربي في مهدهم، فالتمس عبد المطلب لرسول الله ﷺ المراضع واسترضع له امرأة من بنى سعد بن بكر وهي حليمة بنت أبى ذؤيب عبد الله بن الحارث وزوجها الحارث بن عبد العزى المكنى بأبي كبشة من نفس القبيلة.

وكان عمه حمزة بن عبد المطلبﷺ مسترضعا في بني سعد بن بكر، فأرضعت أمه رسول الله ﷺ يوما وهو عند أمه حليمة، فكان حمزة رضيع رسول الله ﷺ من جهتين من جهة ثويبة

[1] –صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم بحث في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، دار المنهاج ، ص73–74.

ومن جهة السعدية[1].

أما نسبه ﷺ :فينقسم إلى ثلاثة أجزاء ، جزء اتفق عليه كافة أهل السير والأنساب وهو الجزء الذي يبدأ منه ﷺ وينتهي إلى عدنان، وجزء آخر كثر فيه الاختلاف حتى جاوز حد الجمع و الائتلاف وهو الذي يبدأ بعد عدنان وينتهي إلى إبراهيم عليه السلام، أما الثالث فيبدأ بعد إبراهيمعليه السلام وينتهي إلى آدمعليه السلام وجل الاعتماد فيه على نقل أهل الكتاب، وعندهم فيه بعض تفاصيل الأعمار وغيرها ما لا نشك في بطلانه بينما نتوقف في البقية الباقية وفيما يلي الأجزاء الثلاثة من نسبه الزكي والطاهر ﷺ بالترتيب :

الجزء الأول : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب (واسمه شيبة) بن هاشم (واسمه عمرو) بن عبد مناف(واسمه المغيرة) بن قصي (واسمه زيد) بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر(وهو الملقب بقريش , وإليه تنتسب القبيلة) بن مالك بن النضر (واسمه قيس) بن كنانة بن خزيمة بن مدرِكة (واسمه عامر) بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[2].

الجزء الثاني : ما فوق عدنان ، و (عدنان) هو ابن أُدد بن الهميسع بن سلمان بن عوص بن بوز بن قموال بن أبي بن عوام بن ناشد بن جزا بن بلداس بن يدلاف بن طابخ بن جاحم بن ناحش بن ماخي بن عيض بن عبقر بن عبيد بن الدعا بن حمدان بن سنبر بن يثربى بن يحزن بن يلحن بن أرعوى بن عيض بن ديشان بي عيصر بن أفناد بن أيهام بن مقصر بن ناحت بن زارح بن سمى بن مزى بن عوضة بن عرام بن قيدار بن اسماعيلعليه السلام بن إبراهيم عليهما السلامعليه السلام[3].

الجزء الثالث : ما فوق إبراهيم عليه السلام، وهو ابن تارح–واسمه آزر– ابن ناحور بن ساروع – أو ساروخ– ابن راعو بن فالخ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام بن لامك

[1] – ابن القيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، دار المعرفة المجلد (1) ص 19.

[2] – صفي الرحمن المباركفوري، مرجع سابق ص 65.

[3] – نفسه، ص56 –66.

بن متوشلخ بن أخنوخ –يقال:هو إدريس النبي عليه السلام– ابن يرد ابن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث عليه السلام بن آدم عليه السلام[1].

أما نشأته : فقد جمع ﷺ خير ما في طبقات الناس من ميزات، وكان طرازًا رفيعًا من الفكر الصائب، والنظر السديد، ونال حظًا وافرًا من حسن الفطنة وأصالة الفكرة وسداد الوسيلة والهدف، وكان يستعين بصمته الطويل على طول التأمل وإدمان الفكرة واستكناه الحق، وطالع بعقله الخصب وفطرته الصافية صحائف الحياة وشئون الناس وأحوال الجماعات، فعاف ما سواها من خرافة، ونأى عنها، ثم عاشر الناس على بصيرة من أمره وأمرهم، فما وجد حسنًا شارك فيه وإلا عاد إلى عزلته العتيدة، فكان لا يشرب الخمر، ولا يأكل مما ذبح على النصب، ولا يحضر للأوثان عيدًا ولا احتفالًا، بل كان من أول نشأته نافرا من هذه المعبودات الباطلة، حتى لم يكن شيء أبغض إليه منها، وحتى كان لا يصبر على سماع الحلف باللات والعزى[2].

ولا شك أن القدر حاطه بالحفظ، فعندما تتحرك نوازع النفس لاستطلاع بعض متاع الدنيا، وعندما يرضى باتباع بعض التقاليد غير المحمودة ، تتدخل العناية الربانية للحيلولة بينه وبينها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملون غير مرتين، كل ذلك يحول الله بيني وبينه، ثم ما هممت به حتى أكرمنى برسالته، قلت ليلة للغلام الذي يرعى معي الغنم بأعلى مكة: لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة وأسمر بها كما يسمر الشباب، فقال: أفعل، فخرجت حتى إذا كنت عند أول دار بمكة سمعت عزفًا، فقلت: ما هذا؟ فقالوا: عرس فلان بفلانة، فجلست أسمع، فضرب الله على أذنى فنمت، فما أيقظني إلا حر الشمس. فعدت إلى صاحبي فسألني، فأخبرته، ثم قلت ليلة أخرى مثل ذلك، ودخلت بمكة فأصابني مثل أول ليلة... ثم ما هممت بسوء ".[3]

---

[1] – صفي الرحمن المباركفوري ، المرجع السابق، ص65–66.

[2] – نفسه ، ص84.

[3] – الحديث رواه الطبري(2/279)وغيره وصححه الحاكم و الذهبي و ضعفه ابن كثير في البداية والنهاية،287/2.

وكان النبيﷺ يمتاز في قومه بخلال عذبة وأخلاق فاضلة، وشمائل كريمة، فكان أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقًا، وأعزهم جوارًا، وأعظمهم حلمًا، وأصدقهم حديثًا، وألينهم عَرِيكة، وأعفهم نفسًا وأكرمهم خيرًا، وأبرهم عملًا، وأوفاهم عهدًا، وآمنهم أمانة حتى سماه قومه: [الأمين] لما جمع فيه من الأحوال الصالحة والخصال المرضية، وكان كما قالت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها يحمل الكل، ويكسب المعدوم، ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحق.[1]

وبدأ الاحتضار فأسندته عائشة –رضي الله عنها – إليها، وكانت تقول: إن من نعم الله على أن رسول الله ﷺ توفي في بيتي وفي يومي وبين سَحْرِي وَنَحْرِي، وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته، دخل عبد الرحمن . بن أبي بكر، وبيده السواك، وأنا مسندة رسول الله ﷺ، فرأيته ينظر إليه، وعرفت أنه يحب السواك، فقلت: آخذه لك؟ فأشار برأسه أن نعم. فتناولته فاشتد عليه، وقلت: ألينه لك؟ فأشار برأسه أن نعم. فلينته، فأمره . وفي رواية أنه استن به كأحسن ما كان مستنا . وبين يديه رَكْوة فيها ماء، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح به وجهه، يقول: (لا إله إلا الله، إن للموت لسكرات ...) الحديث[2].

وما عدا أن فرغ من السواك حتى رفع يده أو أصبعه، وشخص بصره نحو السقف، وتحركت شفتاه، فأصغت إليه عائشة وهو يقول: (مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، اللهم اغفر لي وارحمني ، وألحقني بالرفيق الأعلى . اللهم ، الرفيق الأعلى).[3] كرر الكلمة الأخيرة ثلاثاً ، ومالت يده ولحق بالرفيق الأعلى إنا لله وإنا إليه راجعون.

وقع هذا الحادث حين اشتدت الضحى من يوم الاثنين 12 ربيع الأول سنة 11هـ، وقد تم له

---

[1] – صفي الرحمن المباركفوري ،مرجع سابق، ص90–91.

[2] – صحيح البخاري باب مرض النبي صلى الله عليه و سلم/ م2 ص640.

[3] – صحيح البخاري باب مرض النبي صلى الله عليه و سلم وباب آخر ما تكلم به النبي صلى الله عليه و سلم /مجلد 2 ص 638–648.

ﷺ ثلاث وستون سنة وزادت أربعة أيام[1].

فاللهم آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته واجزه عنا وعن المسلمين خير ما جزيت نبي عن أمته.

وفاته ﷺ

روى أنس بن مالك: أن المسلمين بينما هم في صلاة الفجر من يوم الاثنين، وأبو بكر يصلي بهم . لم يفاجئهم إلا رسول الله ﷺ كشف ستر حجرة عائشة فنظر إليهم، وهم في صفوف الصلاة، ثم تبسم يضحك، فنكص أبو بكر على عقبيه ؛ ليصل الصّف، وظن أن رسول الله ﷺ يريد أن يخرج إلى الصلاة. فقال أنس: وهَمَّ المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم، فَرِحًا برسول الله صلى الله عليه وسلم، فأشار إليهم بيده صلى الله عليه وسلم أن أتموا صلاتكم، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر[2]، ثم لم يأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت صلاة أخرى.

ولما ارتفع الضحى، دعا النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة فَسَارَّها بشيء فبكت، ثم دعاها، فسارها بشيء فضحكت، قالت عائشة: فسألنا عن ذلك . أي فيما بعد . فقالت: سارني النبي ﷺ أنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه، فبكيت، ثم سارني فأخبرني أني أول أهله يتبعه فضحكت. وبشر النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة بأنها سيدة نساء العالمين، ورأت فاطمة ما برسول الله ﷺ من الكرب الشديد الذي يتغشاه فقالت: وا كرب أباه. فقال لها: (ليس على أبيك كرب بعد اليوم). ودعا الحسن والحسين فقبلهما، وأوصى بهما خيراً، ودعا أزواجه فوعظهن وذكّرهن.

وطفق الوجع يشتد ويزيد، وقد ظهر أثر السم الذي أكله بخيبر حتى كان يقول: (يا عائشة،ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان وجدت انقطاع أُبهَرِي من ذلك السم)[3].

---

[1] –صفي الرحمن المباركفوري، مرجع سابق ص 547–548.

[2] – أحمد بن حجر العسقلاني، فتح الباري في شرح صحيح البخاري م2 ، دار المحسن ، ص193.

[3] – أبي عبد الله إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار السلام للنشر والتوزيع الرياض، ص637.

المبحث الثاني : نبذة عن حياة حسّان بن ثابت ﷺ

نسب حسّان بن ثابت

هو أبو الوليد حسّان بن ثابت من قبيلة الخزرج، التي هاجرت من اليمن إلى الحجاز وأقامت في المدينة مع الأوس ... ولد في المدينة قبل مولد الرسول صلى الله عليه و سلم بنحو ثماني سنين، فعاش في الجاهلية ستين سنة و في الجاهلية ستين سنة أخرى و شبّ في بيت وجاهة و شرف منصرفا إلى اللهو والغزل، فأبوه ثابت بن المنذر بن حزام الخزرجي، من سادة قومه و أشرافهم، و أمه الفريعة خزرجية مثل أبيه. و حسّان بن ثابت ليس خزرجيا فحسب، بل هو أيضا من بني النّجار أخوال الرسول صلى الله عليه وسلم فله به صفة قرابة.[1]

حسّان بن ثابت قبل الإسلام :

كانت المدينة في الجاهلية ميدانا للنزاع بين الأوس و الخزرج، تكثر فيها الخصومات والحروب وكان قيس بين الخطيم شاعر الأوس، وحسّان بن ثابت شاعر الخزرج، الذي كان لسان قومه في تلك الحروب التي نشبت بينهم و بين الأوس في الجاهلية، فصارت له في البلاد العربية شهرة واسعة .

وقد اتصل حسّان بن ثابت بالغساسنة يمدحهم بشعره، ويتاقسم هو و النابغة الذبياني وعلقمة الفحل أعطيات بني غسّان، ثّم اتصل ببلاط النعمان بن المنذر فحلّ محل النابغة حين كان هذا الأخير في خلاف مع النعمان إلى أن عاد النابغة إلى ظل أبي قابوس النعمان. فتركه حسّان مكرها، وقد أفاد باحتكاكه من الملوك معرفة بشعر المديح وأساليبه ولقد كان أداؤه الغني في شعره يتميز بالتضخيم والتعظيم، واشتمل على ألفاظ جزلة قوية، وهكذا كان في تمام الأهبة للانتقال إلى ظل محمد صلى الله عليه وسلم نبي الإسلام والمناضلة دونه بسلاحي مدحه وهجائه[2].

---

[1]–محمد بن أحمد عثمان الذهبي ،سير أعلام النبلاء ج2دار ابن حزم ص512

[2] – المرجع السابق، ص513.

حسّان بن ثابت في الإسلام:

لّما بلغ حسّان بن ثابت الستين من عمره، وسمع بالإسلام ، دخل فيه وراح من فوره يرد هجمات القرشيين اللسانية و يدافع عن محمد صلى الله عليه وسلم والإسلام ويهجو خصومه قال رسول الله صلى الله عليه و سلم يوما للأنصار "ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم؟" فقال حسّان أنا لها، وأخذ بطرف لسانه ، وقال عليه الصلاة السلام" والله ما يسرني به مقولٌ بين بصرى وصنعاء"[1].

ولم يكن حسّان بن ثابت وحده يرد عائلة المشركين من الشعراء بل كان يقف إلى جانبه عدد كبير من الشعراء الذين صحّ إسلامهم، وكان انبي صلى الله عليه وسلم يثنى على حسّان ويحثه على ذلك ويدعوا له بمثل : " اللّهم أيّده بروح القدس"، وعطف عليه وقّربه منه ، قسّم له من الغنائم والعطايا، إلّا أنّ حسّان بن ثابت لم يكن يهجوا قريشا بالكفر وعبادة الأوثان، وإنّما كان يهجوهم بالأيام التي هزُموا فيها، و يعيّرهم بالأنساب ... وكان حسّان بن ثابت لا يقوى قلبه على الحرب فاكتفى بالشعر، ولم يشهد مع رسول الله معركة ولا غزوة.

ومّما لا شك فيه أنّ حسّان بن ثابت كان يحظى بمنزلة رفيعة، يجّله الخلفاء الراشدون ويفرضون له في العطايا في الوقت نفسه، فإننا لا نجد في خلافة أبي بكر –رضي الله عنه– موقفا خاصا من الشعر، ويبدوا أنّ انشغاله بحروب الردة لم تدع له وقتا يفرغ فيه لتوجيه الشعراء أو الإستماع إليهم في حين نجد أنّ عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– يحب الشعر، خاصة ما لم يكن فيه تكرار للفظ و المعنى، وقد روي عن كلّ من الخليفتين الراشدين عدد من الأبيات[2].

[1] – الإمام مسلم النيسابوري صحيح مسلم ، دار ابن حزم القاهرة ط1 1430 / 2010.

[2] – ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، ص271.

آثار حسّان بن ثابت :

اتفق الرواة و النّقاد على أن حسّان بن ثابت أشعر أهل المدر في عصره، وأشعر أهل اليمن قاطبة، وقد خلّف ديوانا ضخما رواه بن حبيب غير أن كثيرا من الشعر المصنوع دخله، لأنه كان لحسّان بن ثابت موقف خاص من الوجهة السياسية والدينية دُسّ عليه كثير من الشعر المنحول، وقام بهذا العمل أعداء الإسلام كما قام به بعض كتّاب السير مثل ابن إسحاق[1]

أغراض شعر حسّان بن ثابت:

أكثر شعر حسّان بن ثابت في الهجاء، وما تبقى في الافتخار بالأنصار ومدح رسول الله صلى الله عليه وسلم والغساسنة والنعمان بن المنذر وغيرهم من سادات العرب وأشرافهم، ووصف مجالس اللّهو والخمر مع شيء من الغزل، إلا أنه منذ إسلامه التزم بمبادئ الإسلام و من خلال شعر حسّان بن ثابت نجد أنّ الشعر الإسلامي اكتسب رقة في التعبير بعد أن عمّر الإيمان قلوب الشعراء، وهي شديدة التأثر بالقرآن الكريم والحديث الشريف مع وجود الألفاظ البدوية الصحراوية ومهما استقلت أبيات حسّان بن ثابت بأفكار و موضوعات خاصة فإنّ كلا منها يعبّر عن موضوع واحد، وهو موضوع الدعوة التي أحدثت أكبر تغيير في حياة الناس وأسلوب معاشهم.

دخول حسّان بن ثابت ﷺ في الإسلام:

نصّب حسّان نفسه للدفاع عن الدين الإسلامي و الرد على أنصار الجاهلية، وقد نشبت بين الفريقين معارك لسانية حامية فكان الشعر شعر نضال يهجوا فيه الأعداء ويمدح فيه رجال الفريق، ولم يكن المدح ولا الهجاء للتكسب أو الاستجداء بل للدفاع عن الرسول الكريم ﷺ وهذا ينقسم إلى قسمين :

أما المدح الذي نجده في شعر حسّان لهذا العهد, فهو مقصور على النبي وخلفائه وكبار الصحابةﷺ، والذين أبلوا في الدفاع عن الإسلام بلاءا حسنا، وهو يختلف عن المدح

[1]–محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مرجع سابق،ص520.

التكسبي بصدوفه عن التقلب على معاني العطاء والجود، والانطواء على وصف الأخلاق الحميدة و رسالة محمدﷺ وما إلى ذلك ممّا ينبثق من العاطفة الحقة والعقيدة النفسية ، قال حسّان :

نبي أتانا بعد يأس و فترة من الرسل و الأوثان في الأرض تُعبُدُ

فأمسى سِراجاً مستنيراً و هادياً يلوحُ كما لاح الصقيل المهنّدُ

وأنذرنا نارا و بشر جنة و علمنا الإسلام فالله نَحمدُ

وأنت إله ُالخلق ربي و خالقي بذلك ما عمّرتُ في الناس أشهدُ[1].

ويلحق بهذا المدح رثاء محمدﷺ فقد ذرف الشاعر دموعا حارة، وضمّنه لوعة و تذكارا لأفضال رسول الدين الجديد، و حنينا إليه في النّعيم :

مع المصطفى أرجُو بذاك جواره وفي نيل ذلك اليوم أسعى وأجهدُ[2]

وأما الهجاء النضالي فقد وجهه إلى القرشيين الذين قاموا في وجه الّدين الجديد يحاربونه

ويهجون محمداﷺ وكان موقف الشاعر تجاههم حربا لما بينهم و بين محمدﷺ من نسب.

أما أسلوبه في هجائه فقد كان يعمد إلى الواحد منهم فيفصله عن القرشية ويجعل فيهم طائرا غريبا يلجأ إليها كعبد، ثم يذكر نسبه لأمه فيطعن به طعنا شديدا، ثم يسدد سهامه في أخلاق الرجل و عرضه فيمزقها تمزيقا في إقذاع شديد ، ويخرج ذلك الرجل موطنا للجهل والبخل والجبن والفرار عن إنقاذ الأحبة من وهدة الموت في المعارك[3].

[1] – شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة و الخلفاء الراشدين ، بيت الأفكار الدولية، د ط ، د ت،ص 77.

[2] – نفسه ، ص117.

[3] – نفسه ، ص118.

وفاة حسّان بن ثابت ﷺ

توفي حسّان بن ثابت ﷺ في الدينة المنورة سنة(54هـ-674م/673) في عهد معوية بن أبي سفيان ﷺ عن عمر قد ناهز المائة والعشرين عاما[1].

[1] – الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مرجع سابق ص272.

المبحث الثالث: الدراسة التطبيقية لدالية حسان بن ثابت.

بطيبة رسم للرسـول ومعهد منيٌر وقد تعفو الرسوم وتهمدُ
ولا تنمحي الآيات من دار حرمةٍ بها منبر الهادي الذي كان يصعد
وواضـح آثارٍ وباقي معـالمٍ وربـع له فيه مصلى ومسجد
فبوركْتَ يا قبر الرسول وبوركَتْ بلادٌ ثوى فيها الرشيد المسدد
لقد غيَّبوا حِلما وعلما ورحمـة عشية علَّـوه الثرى لا يوسـد
وراحوا بحزن ليس فيهم نبيهم وقد وهنت منهم ظهور وأعضد
وليس هـواي نازعا عن ثنائه لعلي به في جنة الخلد أخلد
مع المصطفى أرجو بذاك جوارَه وفي نيل ذاك اليوم أسعى وأجهد[1]

شرح المفردات الصعبة :

طيبة: اسم قديم للمدينة المنورة.

رسم: أثر من بناء ونحوه.

معهد: مقام أو مكان إقامة.

منير: مضيء.

تعفو: تزول.

الرسوم: الأطلال.

تهمد: تنطفئ و تذهب.

دار حرمة: مقدسة (الحرم المكي).

الهادي: الرسول صلى الله عليه و سلم.

أثار: ما ترك النبي صلى الله عليه و سلم من بعده كسيوفه وغيرها.

[1] ديوان حسان بن ثابت الأنصاري تحقيق عبد الرحمن البرقوقي طبعة 1 القاهرة دار الأندلس ص29.

معالم: جمع معلمو هو البناء كمسجد قباء و القبلتين و المسجد النبوي و حجراته.

ربع: دار إقامة و مجمع منازل.

ثوى: استقر وأقام طويلا.

المسدد: الموفق للخير والصواب.

علوه: غطوه.

الثرى: هو التراب الندي.

وهنت: ضعفت وخارت.

أعضد: جمع عضد وهو ما بين أول الكتف وآخر عظم المرفق، ويعني وهن العضد أي عن ضعف.

نازعا: متخليا وتاركا.

مضمون القصيدة

في المدينة النبوية – طيبة – دار الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ومقام عيشه لأنها دار هجرته.

وفي آثاره المنيرة التي لا يعتريها الزوال كبقية أطلال العرب، فهي مشعة بنور الإسلام والهدى، ومن تلك الآثار مسجده صلى الله عليه وسلم ومنبره الذي كان يخطب عليه الناس، ومنها المكان الذي كان قد بنى فيه مسجده – أرضا لبني النجار– والشاعر يستذكرها وهي ماثلة أمامه فكأنها ليست التي كان يعرفها من قبل ثم يدعو لقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة وللبلاد التي حوت أطهر جسد على وجه الأرض.

وينتقل بعدها لوصف مشهد الصحابة رضوان الله عليهم و هم يدفنون نبيهم صلى الله عليه وسلم ويوسدونه الثرى ثم يهيلون عليه التراب بأيديهم فكأنهم دفنوا الحلم والعلم والرحمة جميعا، ثم انصرفوا محزونين قد أنكروا أنفسهم وضاقت بهم الأرض، إذ لم يرجعوا بنبيهم

كعادتهم فوهنوا لذلك وخارت قواهم.

ثم يخبر أنه لاينفك متبعا لهدي النبي صلى الله عليه وسلم موافقا له، يرجو بذلك نيل الخلد وجنات النعيم بجوار المصطفى صلى الله عليه وسلم.

ففي بلوغ تلك الغاية يبذل أقصى الجهد و غاية الوسع.

سنعرض في هذا المبحث لتحليل قصيدة للصحابي الجليل حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه، قالها في رثاء النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته بقليل، وتعد بحق من روائع المرثيات التي قيلت في رثاء العظماء، كيف لا؟، وقد قالها يرثي بها أعظم رجل فقدته الدنيا وخير من وطئت قدماه الثرى، نبي الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

ويعتمد التحليل الأسلوبي – الذي اعتمدناه – على المستوى التركيبي، والمستوى الدلالي، والمستوى الإيقاعي الصوتي، وهذا تفصيل ذلك:

1-المستوى التركيبي والدلالي:

التركيب النحوي أو الجملة النحوية المفيدة إنما تكون عن طريق اختيار الكلمات، وإيثار بعض الكلمات أو الضمائر على كلمات أخرى، فالمبتدأ يقتضي خبرا، والفعل يتطلب فاعلا، والجار يحتاج لمجروره، وكذلك المضاف والمضاف إليه، والاسم الموصول يفتقر إلى صلته التي توضحه وتبينه، ولابد للتابع من متبوعه، فلا نجد نعتا دون منعوت، ولا معطوفا دون معطوف عليه[1].

وهنا نلاحظ أن الجملة تتكون من ركيزتين أساسيتين هما: المسند والمسند إليه، وكل ما يدخل على الجملة لا يفقدها معنى الإسناد، لأن الجملة لا تستغني عن أي ركيزة من ركيزتيها، ولدراسة بنية التراكيب الشعرية في دالية حسان بن ثابت رضي الله عنه فغننا نركز على الجزئيات التي تتكون منه، لنصل إلى كلياتها، وجزئياتها هي الجمل، وبهذا نتعرض للجملة وأقسامها:

[1]-ينظر:محمد أبو الفتوح شريف، التركيب النحوي وشواهده القرآنية،ط2، مكتبة الشباب، دمشق: 1993، ج1، ص111.

- تعريف الجملة:

الجملة أصغر صورة من الكلام تدل على معنى.

وعند النحويين هي ما اصطلحوا عليه بجملة الفعل والفاعل، أو الفعل ونائبه، أو المبتدأ والخبر، وما تفرع عن هذا التقسيم، أو أسماء الشرط مع جملتيها، ويأتي هذا تأكيدا لتعريف البلاغيين، يعني عند النحويين إفادة المعنى المستقل بالفهم إفادة يحسن السكوت عليها لأنها تامة[1].

أ-دراسة التكرار في القصيدة:

أ-أ-تكرار الحروف:

- تكرار التوالي(العطف بالواو)، كما في قول حسان:

بطيبة رسم للرسول **و**معهد منير **و**قد تعفو الرسوم **و**تهمد

وقوله كذلك:

وواضح آثار **و**باقي معالم **و**ربع له فيه مصلى **و**مسجد

حروف العطف (الواو) روابط تصل بين الأفكار وتربط بينها، كما تربط في ظاهرها بين الجمل والكلمات، والشاعر كرر الواو كثيرا، لأنه في مقام ذكر المآثر وتعداد الأحداث، وضم الكل في نسق واحد.

ومن خصائص الرثاء أنه يعدد للمرثي مآثر كثيرة، فكان الواو أنسب لحفاظه على الوتيرة الواحدة لأطول مدة.

فحسان يريد أن يوحي لنا ويخبرنا أن قلبه منفطر وحزين على ذهاب حبيبه صلى الله عليه وسلم، وهو يعرض لنا ما آلت إليه نفسه بعد وفاته صلى الله عليه وسلم، وقد استعمل حرف الواو لربط أجزاء القصيدة، وتماسكها ضمن دائرة إيقاعية واحدة، وكأنها قالب فني متكامل في نسق شعري متناسق، يجعل القارئ لها يحس بأنها وحدة بنائية وموسيقية ذات إيقاع واحد، وهو من وسائل الاتساق والانسجام.

[1]-صالح بلعيد، النحو الوظيفي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر: 1994، ص6.

- تكرار حروف المد: (حروف العلة): كما في قول حسان:

وواضح آثار وباقي معالم وربع له فيه مصلى ومسجد

لقد غيبوا حلما وعلما ورحمة عشية علّوه الثرى لا يوسد

فحسان يكثر منها لما لها من صلة نفسية به، مع تدفق وجدان الشاعر في رثائه للنبي صلى الله عليه وسلم، والتكرار لأصوات المد اكسب الأبيات موسيقى حزينة، مما يدلنا على أن الموسيقى اللفظية وسيلة مهمة لنقل المشاعر والأحاسيس والانفعالات بشكل دقيق، وحروف المد توفر للشاعر طول النفس، ومتسعا يبث فيه مشاعر الحزن والأسى، وتبرز مدى تفجعه بمن فقده.

ب-أ-تكرار الصيغ الفعلية:

يقول حسان:

بطيبة رسم للرسول ومعهد منير وقد **تعفو** الرسوم و**تهمد**

و**راحوا** بحزن ليس فيهم نبيهم وقد **وهنت** منهم ظهور وأعضد

فتكرار الصيغة الفعلية ذاتها يساعد على تتابع نسق السرد وتحريك الأحداث في مسار واحد، ليجعل الوصف أكثر قربا للسامع، حتى يخّيل إليه أنه يراه رأي العين.

وقد يكون تكرار الجملة أو العبارة بذاتها، فإيحاء الجملة المكررة يكون بحسب تركيبها ووظيفتها، فالعوامل اللغوية مساعدة على نقل الإحساس الذي تتضمنهن وعليه، فالجملة المكررة ليست زائدة عن الحاجة، لأنها ليست الجملة الأولى نفسها، فالملاحظ أنها هي نفسها في القواعد وليس في الدلالة، فإذا كانت الأولى لمجرد الإخبار فالثانية وسيلة أسلوبية أبلغ من أي وسيلة نحوية أخرى.

ج-أ-تكرار الجملة الاسمية:

هي جملة تبتدئ بالاسم، ويفيد تكرارها في المحافظة على الثبات الزمني للوصف الذي يريده الشاعر، وكذلك الثبات المكاني له، فالجملة الاسمية يتوقف فيها عامل الزمن

غالبا، وتستعمل بكثرة في وصف الماضي من الأطلال والأشخاص، ومثال ذلك قول حسان[1]:

بطيبة رسم للرسول ومعهد **منير** وقد تعفو الرسوم وتهمد

..وواضح آثار وباقي معالم **وربع له فيه مصلى ومسجد**

د-أ-الفعل وأزمنته:

كان الأقدمون يرون أن الفعل صاحب العمل، وهو عامل من أقوى العوامل، فيرفع فاعلا وينصب المفاعيل وسائر الفضلات، كالحال ونحوها، ويعمل أينما كان، سواء أكان متقدما أو متأخرا[2]

-الفعل الماضي:هو ما دل على حدث قبل زمن المتكلم[3]

ومن الأمثلة على ذلك قول حسان *رضي الله عنه*

لقد غيبوا حلما وعلما ورحمة عشية علّوه الثرى لايوسد

وكذلك قوله:

وراحوا بحزن ليس فيهم نبيهم وقد وهنت منهم ظهور وأعضد

وهي تدل الحركة في الأحداث.

-الفعل المضارع:هو ما دل على الحدث في الحال أو الاستقبال.[4]

ومن الأمثال المذكورة في القصيدة.

بطيبة رسم للرسول ومعهد منير وقد تعفو الرسوم وتهمد

وقوله:

---

[1]-ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، تحقيق: عبد الرحمن البرقوقي، ط1، دار الأندلس، القاهرة، ص29.

[2]-إبراهيم السامرائي، الفعل وزمانه وأبنيته، ط3، بيروت: 1983، ص15.

[3]-محمد أبو الفتح شريف المرجع السابق ص29.

[4]-نفسه، ص62.

ولا تنمحي الآيات من دار حرمة بها منبر الهادي الذي كان يصعد

وهي تدل على معايشة الحادثة التي يحكيها ، كأنها تقع الآن بأفعال الضارعة .

هـ-أ- اسم الفاعل : هو في الحقيقة وصف للفاعل يشتق عادة من مضارعه المبني للمعلوم واسم الفاعل يشبه المضارع الذي يشتق منه في أمرين ، أحدهما لفظي والآخر معنوي ، فمن حيث اللفظ يشبه اسم الفاعل مضارعه في تتابع حركاته وسكناته تمام الشبه ، وإذا أريد باسم الفاعل الحال أو الاستقبال فإنه يكون بذلك قد شابهه في المعنى.[1]

ومن الأمثلة على ذلك نجد قول حسان بن ثابت رضي الله عنه.

بطيبة رسم للرسول ومعهد منير وقد تعفو الرسوم وتهمد

وقوله أيضا:

ولا تنمحي الآيات من دار حرمة بها منبر الهادي الذي كان يصعد

يدل اسم الفاعل في استعماله على التركيز على فاعله " لأنه محبوب مقرب " ولا يستعمل اسم الفاعل بكثرة إلا لمن له منزلة في نفس الشاعر . **و-أ- اسم المفعول :**

هو اسم مشتق من الفعل المضارع المتعدي المبني للمجهول ، وهو يدل على وصف ما يقع عليه الفعل[2]

ومن الأمثلة الواردة في قصيدة حسان بن ثابت-رضي الله عنه-.

وواضح آثار وباقي معالم وربع له فيه مصلى ومسجد

وكذلك قوله:

مع المصطفى أرجو بذلك جواره وفي نيل ذاك اليوم أسعى وأجهد

[1]- عبده الراجحي، الرصيف الصرفي ، دار المعرفة الجامعة الإسكندرية 1990 ص 76.

[2]- نفسه ، ص 81.

ب-دراسة تراكيب الجمل والأسماء في القصيدة:

أ-ب-الجمل الخبرية:

جملة الخبر هي ما أفادت خبرا أو معلومة، تحتمل الصدق والكذب، وتكون جديدة على السامع أو معهودة لديه سلفا، ولها عدة صيغ، ورد منها في قصيدة حسان بن ثابت ما يلي:

-النفي: هو في اللغة عكس الإثبات، وهو أن ينفي القائل أمرا بجملة خبرية تحتمل الصدق والكذب، ويكون النفي بالاسم وبالفعل، وذلك بالحروف التالية: (لَم، لـِم، لن، ليس، أن، لا، ما)، وتقوم أدوات النفي بتحديد زمن الفعل في السياق الكلامي[1]، ومن أساليب النفي في القصيدة نجد:

- النفي ب"لا"، وذلك نحو قوله:

ولا تنمحي الآيات من دار حرمة بها منبر الهادي الذي كان يصعد

- النفي بـ"ليس"، وذلك في قوله:

وليس هواي نازعا عن ثنائه لعلي به في جنة الخلد أخلد

فهذان موطنا النفي في القصيدة، وفي كليهما قصد الشاعر إثبات عكس المنفي، فأثبت في الأول بقاء الآثار وخلودها بنفيه لزوالها واندثارها، وفي الثاني أكد بقاءه على هدي النبي صلى الله عليه وسلم وسنته.

ب-ب-الجمل الإنشائية:

- التمني: هو في مثل قول حسان رضي الله عنه:

وليس هواي نازعا عن ثنائه **لعلـي** به في جنة الخلد أخلد

-الدعاء: وذلك في قوله:

فبوركت يا قبر الرسول و**بوركت** بلاد ثوى فيها الرشيد المسدد

والجمل الإنشائية دلالاتها تحددها المقاصد، فالنداء في البيت السابق "يا قبر الرسول" يفيد

[1]-عبده الراجحي، مرجع سابق ، ص13.

القرب والدنو، فكأن القبر أمامه يناجيه ويخاطبه بهذا الكلام، دلالة على مكانة ساكنه في قلبه، وأفاد التمني الدعاء الحقيقي بحصول المتمنى الذي هو غاية المنى، وهو بين رجاء الحصول عليها بهذا الإتباع وخوف القصور عنها بذنوبه.

ج-ب-أسماء الإشارة:

اسم الإشارة كل اسم دلّ على مسمى وأشار إليه، فاسم الإشارة كلمة منطوقة وضعت لمشار إليه[1]، وأسماء الإشارة تفيد الربط مع حملها دلالات الأسماء في ذواتها، ووردت في قوله:

مع المصطفى أرجو **بذاك** جواره وفي نيل **ذاك** اليوم أسعى وأجهد

د-ب- الأسماء الموصولة:

وهي كما عرّفها النحاة ، كل اسم افتقر إلى صلة وعائد وهذه الصلة هي ما يحدد معناه ويوضحه ويجب أن تشتمل جملة الصلة على ضمير يعود على اسم موصول ليربط جملة الصلة به.[2]

والأسماء الموصولة تفيد الرّبط في ذاتها أسماء وهي قوله :

ولا تنمحي الآيات من دار حرمة بها منبر الهادي الذي كان يصعد

و كذلك الضمائر وردت بقوة في هذه القصيدة وضمائر الغائب أكثر لأن الحاضر في العربي سبيله الغيبة فكلما كان المذكور اشد حضورا "ماديا أو معنويا" كان ذكره غائبا أولى.

وهي في قول حسّان رضي الله عنه:

ولا تنمحي الآيات من دار حرمة بها منبر الهادي الذي كان يصعد

وواضح آثار وباقي معالم وربع له فيه مصلّى ومسجد

وراحوا بحزن ليس فيهم نبيّهم وقد وهنت منهم ظهور وأعضد

[1]-محمد أبو الفتوح شريف، التركيب النحوي وشواهده القرآنية، د ط ، د ت ، ص210.

[2]- عبد العزيز عتيق ، المدخل إلى علم الصرف ، د ت ، د ط ،ص164.

ج–التركيب الدلالي:

" إنّ ثاني ما اهتم به اللغويون بعد التركيب النّحوي هو التركيب البلاغي وترتبط البلاغة العربية اليوم بعلوم ثلاث ، معروفة هي علم البيان وعلم البديع وعلم المعاني.

- أ–ج– البيان :

هو تلك الصور البيانية التي يوظفها الشاعر والأدباء عموما، لزيادة جمال العبارات وتجسيد المعنوي في المحسوس، ويدخل في هذا الباب ما اصطلح عليه حديثا بالصورة الشعرية والانزياحات، وسنورد أمثلة لأقسام البيان التي تضمنتها دالية حسان بن ثابت رضي الله عنه:

- الكناية : تعبر إما عن مالا ينبغي ذكره ، أو ما يراد تعظيمه والمبالغة فيه ، والشاعر استعملها للغرض الثاني وإن كان غير مبالغ في وصفه وكأنه جعل الذي وضع تحت الثرى هو العلم ذاته والحلم ذاته والرحمة ذاتها .

وهي في قول حسّان –رضي الله عنه–

لقد غيبوا حلما وعلما ورحمة شية علّوه الثرى لايُوسد

وهي كناية عن موصوف بهذه الصفات، وهو النبي صلى الله عليه وسلم.

- الاستعارة: وهي تشبيه حذف أحد طرفيه وأداة تشبيهه.

قال حسان:

وليس هواي نازعا عن ثنائه لعلي به في جنة الخلد أخلد

فقوله: وليس هواي نازعا، استعارة مكنية، حيث شبه الهوى وهو شيء تجريدي بالشخص ذي الإرادة الذي ينزع عن الشيء أي يباينه ويجانبه، فحذف المشبه به وأبقى على لازم من لوازمه وهو النزوع، على سبيل الاستعارة المكنية.

- البديع:

"يعرفه ابن خلدون: هو النظر في تزيين الكلام وتحسينه بنوع من التنسيق إما بسجع

يفصله أو بتجنيس يشابهه بين ألفاظه أو ترصيع يقطع أوزانه أو تروية عن المعنى المقصود بإبهام معنى أخفى منه لاشتراك اللفظ بينهما أو طباق بالتقابل بين الأضداد [1].

- التصريح: من أبرز الدلالات على حسن الافتتاح وجودة المطلع ، وهو مقابل السجع في النثر يوفّر فواصل موسيقية.

وهي في قوله – رضي الله عنه – :

بطيبة رسم للرسول ومعهد منير وقد تعفو الرسوم وتهمد

-الجناس الناقص:

له جرس موسيقي رائع وبلاغة رائعة ، وهي في قول حسان – رضي الله عنه –

وليس هواي نازعا عن ثنائه لعلي به في جنّة الخلد أخلد

والجناس تتجه مهمته إلى التلوين الصوتي ، ومن بعد إلى التلوين المعنوي .
وللجناس فائدة نغمية موسيقية وفائدة معنوية .

ج–المستوى الصوتي الإيقاعي.

يعتبر الوزن عنصرا هاما من عناصر الإيقاع الشعري ، وقد وضع الخليل بن أحمد الفراهيدي –رحمه الله – علم العروض وأخرجه إلى الوجود وحصر أقسامه خمسة دوائر استخرج منها خمسة عشر بحرا ، ومن بين البحور نجد البحر الطويل ، وقد نظمت عليه العديد من القصائد ومن بين القصائد المشهورة نجد دالية حسان بن ثابت– رضي الله عنه–

أما علاقة البحر الطويل بموضوع القصيدة فتفصيله ما يلي:

موضوع القصيدة هو الرثاء ، والبحر الطويل أنسب البحور لهذا الغرض ، لما يضمنه من طول النفس لكثرة حروفه ومناسبة حروف المد فيه ، ما يوفر للشاعر فرص التعبير عن أكبر قدر من مكنوناته في البيت الواحد.

[1]-عبد العزيز عتيق ،المرجع السابق ، ص 211.

- سبب التسمية :

يسمى طويلا لمعنيين أحدهما أنه أطول الشعر لأنه ليس في الشعر ما يبلغ عدد حروفه ثمانية وأربعين حرفا ، والثاني أنَّ الطويل تقع في أوائل أبياته الأوتاد والأسباب بعد ذلك ، والأوتاد طويلة على الأسباب وهو على ثمانية أجزاء: فعولن مفاعيلن أربعة مرات .

- حروف الهمس:

هي حروف يجري بها الصوت والنفس جميعا، جمعها قول بعضهم: "حثت كسف شخصه".

وتكرر منها في القصيدة حروف: الهاء – السين – الحاء، وذلك في مثل قوله:

بطيبة رسم للرسول ومعهد منير وقد تعفو الرسوم وتهمد

وقوله أيضا:

تذكر آلاء الرسول وما أرى لها محصيا نفسي فنفسي تبلد

-حرف الروي : (الدال).

الدال حرف مهجور شديد يورث جرسا قويا يدل على عظم مصيبة الشاعر وهول الخطب الذي ألّم به ومدى فداحة الأمر الذي وقع بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى ليخيّل لك أنّ المصيبة لم تقع إلا الآن وزادها إطلاق القافية وقوة وجرسا.

- مثال لتقطيع بيت من القصيدة:

بِطيبة رسم للرسول ومَعهد منير وقد تعفو الرسوم وتهمد

بطيب ترسمنلْر رسول ومعهدو منيرن وقدتعفر رسوم وتهمدو

0//0// //0/ 0/0/0// 0/0// //0// /0// 0/0/0// /0//

فعول مفاعيل فعول مفاعلن فعولن مفاعيلن فعول مفاعلن

*هذا هو التحليل الأسلوبي لمرثية حسان بن ثابت رضي الله عنه، ونلاحظ منه ما يلي:

- مدى المقدرة الشعرية والكفاءة اللغوية التي يمتاز بها شعر الصحابي الجليل حسان بن ثابت رضي الله عنه، ما أهله بحق أن يكون شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

- إن دراسة قصيدة حسان وفق المنهج الأسلوبي يوقفنا على جوانب بلاغية وملامح دلالية عظيمة، ما كنا لنستشفها من مجرد القراءة الأولى للقصيدة.

ملحق : أهم مراثي الرسول ﷺ و أهم من رثاه.

التحق النبيﷺ بجوار ربهﷻ الذي اصطفاه وأفل شمس الرسالة وتسرب النبأ الفادح، وأظلمت أفاق الدنيا وقد استحالت المدينة المنورة إلى بركان البكاء والحزن، وفزع المؤمنون بهذا النبأ العظيم ، وهم لا يصدقون موت النبي صلى الله عليه وسلم وما نزلت السكينة على قلوبهم لولا هذه الآيات المذكورة في القرآن الكريم **قَالَ تَعَالَىٰ:** (**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾**) الزمر: ٣٠ – ٣١ "

و كذلك **قَالَ تَعَالَىٰ:** (**وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾**)الأنبياء: ٣٤ – ٣٥ و عمّ النّاس الحزن، فضجت أجواء المدينة بالنشيج والبكاء، وارتفعت أصوات الشعراء في أرجاء الأرض ، معبّرة عن مشاعر أصحابها الحزينة ومفصحة وعن لوعة قلوبهم. وقد وصلت إلينا صور كثيرة من هذه الأشعار الباكية الحزينة والشعر الذي بين أيدينا من مراثي الرسول عليه الصلاة والسلام شعر العاطفة الخاصة، العاجز عن عظم المصيبة في فقده و فقدان الأمة

فيرتفع صوت الشعر ليصور هول ذلك اليوم وفزع ذلك المصاب الجلل، فبادر الشعراء إلى رثائه صلى الله عليه وسلم وكان الأنصار رضي الله عنهم أسرع النّاس إلى بكاء النبيﷺ، كما كانوا أسرع النّاس في نصرته والدفاع عنه.

فحسّان بن ثابت يرثيه في عدة قصائد نرى فيها لوعته ووجده ويبكيه بعبارات حارقة مبكية وألفاظ محزنة مشحونة بالتحسّر والتفجّع ويصوّر نفسه وعيناه كأنّما كحلت بالسهر والأرق والدمع جزعا على خير من وطئ الأرض الذي أصبح ثاويا التراب في يوم الاثنين فظل بعد وفاته متلبدا ، فهو يتمنى أن لا يولد ولا يعيش بعد النبي صلى الله عليه وسلم راجيا أن تجمعه المنية مع النبي صلى الله عليه وسلم في جنة الفردوس

ويرسم لنا فداحة الأمر لأنصار الرسول صلى الله عليه و سلم فيقول :

ما بال عينك لا تنام كأنّما كحلت ما فيها بكحل الأرمد

جزعا على المهدي أصبح ثاويا يا خير من وطئ الحصى لاتبعد

بأبي و أمي من شهدت وفاته في يوم الاثنين النبي المهتدي

أأقيم بعدك بالمدينة بينهم ياليتنى صبحت سم الأسود[1].

لحسّان كذلك قصيدة طويلة شهيرة قي رثاء الرسول صلى الله عليه وسلم مطلعها :

بطيبة رسم للرسول ومعهد منير و قد تعفوا الرسوم و تمهد[2].

أما كعب بن مالك رضي الله عنه فقد قل رثاءه للنبيﷺ كأن لسانه عقد بالفاجعة وكأن عبقريته في إنشاء الشعر أصيبت بالجفاف، لكنه رثى الرسولﷺ المبشر النذير الداعي إلى الله السراج النير بقصيدة يقول في بعض أبياتها :

يا عين فابكى لدمع ذرى لخير البرية المصطفى

وبكّى الرّسول و حقّ البكا عليه لدى الحرب عند اللقا

على سيد ماجد جحفل وخير الأنام وخير اللها

وكان بشيرا لنا منذرا ونورا لنا ضوؤه قد أضا

فأنقذنا الله في نوره ونجّى برحمته من لظى[3].

وقد بكى الرسولﷺ شعراء من القبائل كعامر بن طفيل يصوّر بكاء الأرض و السماء نور الحق و منهاج الهدى فيقول :

بكت الأرض والسماء على الّنور الذي كان للعباد سراجا

من هدينا به إلى سبيل الحق وكّنا لا نعرف المنهاجا[4].

---

[1] – الأنصاري حسّان بن ثابت 198م. الديوان بتحقيق عبد الرحمان البرقوقي ط1 القاهرة ، دار الأندلس ص34.

[2] – نفسه ، ص 77.

[3] – كعب بن مالك 1945م، الديوان بتحقيق سامي مكي العاني ، ط2 بغداد دار المعارف ص24.

[4]– ابن سعيد 1322هـ.الطبقات الكبرى,المجلد الثاني ، مطبعة بريل ص36 .

وليس بغريب أن تساهم النساء الشواعر في البكاء على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والنساء كنّ قد شاركن الشعراء في أي فن من الفنون الشعرية ولاسيما في الرثاء. والنساء أشجى الّناس قلوبا عند المصيبة و أشدّهن جزعا على هالك، لّما ركّب الله عز وجل في طبعهن من الخور و ضعف العزيمة[1].

وهكذا ساهمت الّنساء في رثاء النبيﷺ, فالرسول كان يجلّ المرأة ويحسن إليها ، ويعطف على وضعها وينجيها من براثن الظلم والغيرة العمياء والجاهلية والإرهاق والوأد، ويشدّ بساعدها ، كذلك لم يكن الرسول المرثى فردا عاديا أو ملكا أو قائدا فحسب بل هو النبي المرسل عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام –حبيب الله عز وجل– خاتم الرسل وسيد الأنبياء، وشفيع البشر في يوم المحشر وأشرف الخلائق. فصفية بنت عبد المطلب عمة الرسول صلى الله عليه وسلم عبرت عن حزنها لهذه المأساة الجليلة العظيمة التى وهن العظم و شاب الرأس بقصيدة تقول فيها :

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا وكنت بنا برا و لم تك جافيا

وكنت رحيما وهاديا ومعلّما لبيك عليك اليوم من كان باكيا[2].

وأما قصيدة فاطمة رضي الله عنها بنت الرسولﷺ ، فهي تتفجر عاطفة ولوعة, فكل بيت فيها يقطر دمعا بل دما ، فالحزن يجرى في قلبها وفؤادها ، ويتمثل في حركاتها وسكناتها بل في كل بيت من أبياتها وفي رثائها شاركت الطبيعة فأغبرت آفاق السماء وكّورت الشمس وأظلم النهار واضطربت الأرض ، حتى إنّ الأرض شاركت المسلمين في مصيبتهم فمالت جوانبها و مادت تحت أقدام المسلمين . وفاطمة الزهراء قد عاشت حمية والرسول صلى الله عليه وسلم–لها جناح– فبعده أغضّت طرفها لأنه قد مات خير فوارسها وسلاحها. حضرت المنية فتمكّنت جمر الغضا بجراحها ، ويدعو من الله ما حلّ بها لأنه

[1] – القيرواني،أبو الحسن بن رشيق 2002م العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده تحقيق عبد الحميد هنداوي.(م2).بيروت المكتبة المصرية ص81.

[2] – ابن عبد البر 1939/ص29 .

مات الرسول صلى الله عليه وسلم وانطفأ مصباحها فتقول في أبيات من مرثية الرسول صلى الله عليه وسلم :

اغبر آفاق السماء و كّورت شمس النهار وأظلم العصران

فالأرض من بعد النبي حزينة أسفا عليه كثيرة الّرجفان

فليبكه شرق البلاد و غربها وليبكه مضر وكل يماني

وليبكه الطّود العظيم وجّوه والبيت ذو الأستار والأركان

يا خاتم الّرسل المبارك ضوؤه صلى عليك منزّل القرآن[1].

[1] – القيرواني أبو الحسن بن رشيق , المرجع نفسه ص 82 . 83.

خاتمة

بعد استعراضنا لموضوع الرثاء وتحليل نموذج من روائع المرثيات، خلصنا إلى النتائج الآتية:

أ–الرثاء فن شعري قديم، يعد أصدق أبوابه عاطفة وتعبيرا

ب–يكون عظم المرثية بعظم المرثي بها، ومرثية حسان بن ثابت من أعظم المراثي لغة وتعلقا بمرثيها.

ج–حسان بن ثابت الأنصاري صحابي جليل وشاعر مخضرم، عاصر الإسلام وعاش الجاهلية قبله، وشعره في الجاهلية مقدم على شعره في الإسلام عند النقاد.

د–شعر حسان بن ثابت مشحون بحمولة من الطاقات الإيحائية والأدوات التعبيرية والظلال الروحية والأصداء الوجدانية.

س–بينت الدراسة التطبيقية بعض جوانب الجمال ومواطن الإبداع ومكامن السمو في شعر حسان بيانا جليا واضحا.

ع–استحق حسان بجودة شعره أن يكون شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم، وتجلى إخلاصه وصدق شعوره في بقائه على عهده ورثائه للنبي صلى الله عليه وسلم.

قائمة المصادر و المراجع

1- ابن منظور لسان العرب دار إحياء التراث العربي بيروت 1996مجلد 5 مادة رثا.

2- حسان بن ثابت الأنصاري .الديوان.198.ط1القاهرة دار الأندلس تحقيق عبد الرحمن البرقوقي .

3- القيرواني .أبو الحسن بن رشيق 2002م .العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده تحقيق عبد الحميد هنداوي م2 بيروت المكتبة المصرية.

4- شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة و الخلفاء الراشدين.

5- كعب بن مالك رضي الله عنه 1945م.الديوان.سامي مكي العاني.ط2 دار المعارف بغداد.

المراجع

أ/ الكتب

1- ترجمة فارسية لتاريخ الأدب العربي.جرجي زيدان مجلد.

2- تاريخ الأدب العربي حسن أحمد الزياتط2 ص150.

3- شوقي ضيف .فنون الأدب العربي الرثاء .دار المعارف القاهرة ط4 .1919م.

4- ابن عبد ربه.العقد الفريد.دار الكتب العلمية.بيروت لبنان ط1_1404هـ.1983م.

5ـ أبي منصور الثعالبي: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر شرح محمد قحمية دار الكتب العلمية.بيروت لبنان ط1 1983م.

6- الرحيق المختوم بحث في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.صفي الرحمن المباركفوري .دار المنهاج.

7- زاد المعاد في هدي خير العباد.ابن القيم الجوزية دار المعرفة مجلد1.

8-صحيح البخاري.أبي عبد الله إسماعيل البخاري .دار السلام للنشر و التوزيع.مجلد.2.

9-سير أعلام النبلاء .محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي مجلد2.

10- الإصابة في تميز الصحابة.الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني .بيت الأفكار الدولية ط.
11- صحيح مسلم.مسلم القشيري النيسابوري دار بن حزم القاهرة ط1 1430 – 2010.
12- ابن عبد البر 1939م طبعة .2.
13- ابن سعد الطبقات الكبرى.مجلد2.مطبعة أبريل ليدن.1322هجري.
14- محمد أبو الفتوح شريف .التركيب النحوي و شواهده القرآنية ط2.مجلد2 مكتبة الشباب مصر 1993م.
15- صالح بلعيد النحو الوظيفي.ديوان المطبوعات الجامعية .الجزائر 1994 ص6.
16- عبده الراجحي التطبيق النحوي دار المعارف الجامعية .بيروت 1995م.
17- إبراهيم السمراني . الفعل و زمانه و أبنيته .طبعة3 بيروت 1983م.
18- عبد العزيز عتيق المدخل إلى علم الصرف د.ت د.ط.
19- رابح بوحوش . البنية اللغوية لبردة البويصري دار النشر.بيروت.
20- أبو زكريا يحي.في العروض و القواعد .دار الكتب العلمية بيروت.
21-البداية والنهاية للإمام ابن كثير المجلد2.

ب/ الرسائل و المواقع الإلكترونية.

1- إبراهيم ناجي.ديوان من وراء الغمام. موقع انترنيت.